الالهي وتتم به ما قيل في الانجيل المقدس: اعمى يقود اعمى وكلاهما يقعان في حفرة جهنم. لا سمح الله

هذا ما وجب ايضاحه لكم ايها الكهنة المكرمون اولادنا الاعزاء الموحيين من طامور (؟) مجمعنا البطريركي الانطاكي المقدّس ونؤمل بطاعتكم وتقواكم ان توافقوا رغبتنا لخير انفسكم ونجاح سعيكم وخلاص ذمتنا وذمتكم وبعد تجديد البركة الرسولية عليكم ثانياً وثالثاً

تحريراً في ٨ تشرين الثاني سنة ١٧٩٠ بدار البطريركية

الفلاحة والاحراج اللبنانيّة

نظر للاب هنري لامنس اليسوعي مدرس الجغرافية الشرقيّة في المكتب الشرقي

لا يستطيع اهل لبنان ان يرتقوا بالصناعة وحدها فهذا حكمٌ واهن ابرزناه غير مرّة في ابحاثنا السابقة والسبب ظاهر لانّ الصناعة تحتاج الى المعادن ولا سيما الى مناجم الفحم وكل ذلك نزر قليلٌ في لبنان. ومن ثمّ ينبغي لاهل لبنان ان يسعوا في فلاحة الجبل وزراعته وعليهما يتوقف مستقبل لبنان لتفي غلّاتهُ بمعاشهم. وممّا يضطرّهم الى السعي وراء ذلك وفرة السكّان وغوّهم سنة بعد سنة فانهم يجدون في ارضهم موارد رزق اوفر ممّا يظنّون. وها نحن ذا نبيّن لهم ذلك في الاسطر التالية. وليست غايتنا ان نكتب كتاباً مسهباً في احوال الزراعة اللبنانيّة وانّما ندوّن فقط ما يتبثنا به تاريخ الجبل فان الماضي عبرة للمستقبل. ونقسم كلامنا في هذا الباب الى قسمين نخصّ القسم الاوّل بالغابات والثاني بانواع المزدرعات التي يُمكن اللبنانيّين ان يستدرُّوا منها ارباحاً جزيلة

١ الغابات اللبنانيّة سابقاً وحاضراً

قد اطرأ الكتبة لبنان وافاضوا في مدح غاباته الباسقة منذ الاجيال الغابرة العريقة في القدم. كما اثبتنا الامر في مقالتنا المعنونة جبال الالب ولبنان (المشرق ١: ٧٢١)

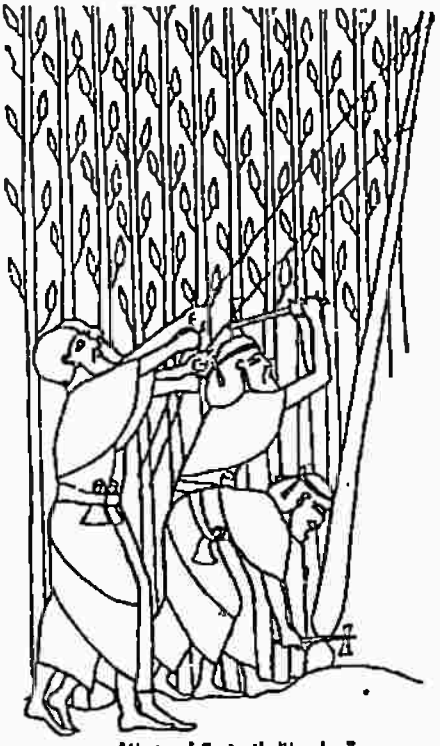

قدماء اللبنانيين يقطعون الشجر

وشفعنا ذلك بمقالة ثانية (١ عن ارز لبنان فروينا ما كان لغاباته من الشأن الخطير حتى انَّ كل الشعوب القديمة في الشرق لا سيما البابليين والفراعنة كانوا يجدون فيها حاجتهم من الخشب لابنيتهم الفاخرة . وفي الآثار الهيروغليفيَّة ادلَّة واضحة على انَّ المصريين كانوا يعتبرون جبل لبنان كغابة متَّسعة كثيرة الاشجار متكاثفة الاغصان لا يرى السائر فيها اديم السماء لظلّها الوارف (٢ وكان الغرباء لا يتجوّلون في هذه الاحراج وهم يتوجَّسون منها خوفاً لما فيها من ضواري الوحوش كالاسود والنمورة والدِّبَبة . وكان الاهلون قليلين وهم يرتزقون بما يقطعونهُ من الاخشاب كما ترى في صورتنا المنقولة عن بعض الآثار المصريَّة القديمة . امَّا الاشوريُّون والبابليُّون فلم يشاؤوا ان تبقى هذه الكنوز في ايدي اخصامهم المصريين فلذلك تنظر اصحاب العاديَّات البابليَّة يتخرون بما جلبوه

١) راجع كتابنا تريح الابصار في ما يحتويهِ لبنان من الاثار (١ : ١٢٩)

٢) اطلب: Chabas: *Voyage d'un Egyptien en Syrie*, p. 312—W. M. Müller: *Asien und Europa*, p. 197-198—Joret: *Les plantes dans l'antiquité.*

من اخشاب لبنان لمبانيهم العظيمة . كما ان نقوشهم المنقورة في الصخور تنطق بمآثرهم في صيد كواسر لبنان مثال ذلك صورة توفّقنا باكتشافها في جبل اكروم شمالي هرمل فوصفناها في بعض تآليفنا (١

اما قدماء اليونان فلم يجسروا ان يتوغّلوا في هذه الغابات التي كان البابليّون والفراعنة نالوا من اطرافها فقط حتى قام الرومان تحت امرة بومبيوس فتعقّبوا فيها المتلصّصين من الايطوريين (٢ وضربوا في ايديهم ومذ ذاك العهد ساد الامن واتخذ السكّان لهم منازل ثابتة فجعلوا يقطعون تلك الاحراج لحاجتهم الى المزدرعات (٣ وصار عدد القرى ينمو شيئاً فشيئاً وغرس الاهلون الكروم واهتمّوا بزراعة الزيتون فتوفّرت وانتشرت . وتخوّف اصحاب الامر من ان تتلف الغابات فوضعوا الرسوم لقطعها واستثنوا منها بعضها . غير ان لبنان لم يُمسِ جبلاً حافلاً بالسكّان الّا عند انتشار الموارنة كما اثبتنا ذلك سابقاً (٤ فكانت الغابات تنقص على قدر ما كان ينمو عدد القطين . وفي ذلك العهد احتاج ذوو الامر الى عمارة فجهّزوا سفنهم من خشب لبنان في عكا وصور وطرابلس كما ورد في فتوح البلدان للبلاذري (ص ١٥٣) وفي تاريخ تاوفانوس وتاريخ البطريرك ميخائيل الكبير (éd. Chabot. II, 445) وكانت هذه الاساطيل تتركّب من عدد واقر من السفن بلغ مجموع بعضها ١٧٠٠ سفينة شراعيّة . وكانوا اذا ذهب الانواء بقسم منهم اسرّعوا فجهزوا غيرها بدلاً منها لأنهم لم يشاؤوا ان يكون اسطولهم اقل من ٥٠٠ مركب . وهو لعمري عدد بالغ يشهد بلسان حاله على غنى لبنان بالاحراج والغابات كما انهُ دليل واضح على ما فقده يتوالى الاعصار من هذه الكنوز الخشبيّة . ودونك لسباباً اخرى قد سوّلت انتقاص هذه الغابات ما عدا توفّر السكّان الذي سبق ذكرهم

سيأتي الكلام في فصل آخر عن معادن لبنان في القرون الوسطى . وهناك ترى ان استخراج الحديد كان شائعاً في لبنان وكانوا يمدّنون هذا المعدن على الطريقة المنسوبة

---

١) راجع Notes épigraphiques et topographiques sur l'Emésène, p. 50

٢) اطلب تسريح الابصار (٢ : ٢٦) والمشرق (٥ : ٨٢٥)

٣) تسريح الابصار (٢ : ٢٥)

٤) اطلب المشرق (٦ : ١٢٠) وتسريح الابصار (٢ : ٥٢ الخ)

للكيلان وهي طريقة تقتضي احراق الخشب الكثير. وكذلك استحضار الكلس فقد اتسع نطاقهُ في لبنان لكثرة حجارتهِ الكلسيَّة والكلس لا يُطبخ الَّا بنار شديدة فذهب بذلك قسمٌ من غابات الجبل

ثمَّ انتشرت في لبنان تربية القزّ فشغلت اشجار التوت قسمًا من مكان الغابات. وزد على ذلك رعية المعزى واصطناع الفحم الخشبيّ وقلَّة اكتراث الاهلين لنصب اغراس جديدة فكانت هذهِ الاسباب كلها داعية الى فساد الغابات فاصبح الجبل اليوم اجرد اصرع لا تقرُّ لناظره عين بما كان يزينهُ سابقًا من خضرة احراجهِ وارزه الشهير الذي انشدت في محاسنهِ الاسفار الالهيَّة

وان قيل انَّ اهل لبنان اجابوا بدلًا من هذه الغابات مرافق اخرى استعاضوا بها. اجبنا انَّ هذه الخيرات التي حظي بها القوم انما كانت مقصورة على منافع وقتيَّة ولو فطنوا وادركوا كنه الامور لامكنهم ان ينالوا هذه الخيور دون ان يخسروا هذه الخسائر الجسيمة. ومن المعلوم انَّ اعمال الخشب تترقَّى يومًا بعد يوم مع ترقّي المدنيَّة فتتعدَّد منافعهُ لغايات لا يضبطها احصاء. وكلُّها فوائد جليلة. لانَّ منهُ يتَّخذ الاثاث وامتعة البيت وادواتهُ المختلفة ومنهُ يُستحضر اليوم ورق الكتابة ومنهُ يتصاعد كل يوم. حتى ان بعض المتوَّلين اعمال السكك الحديديَّة يرون انَّ الحديد ارخص منهُ في عوارض هذه السكك. وكذلك ترى الكهرباء بترقيها وانتشار استعمالها تقوم اليوم مقام الفحم كما ان غاز البترول ينوب ايضًا عنهُ في اعمال صناعيَّة عديدة فيُستخدَم في تحريك الالات في المعامل والمراكب والسكك الحديديَّة بل في طبخ الاطعمة. وبينما ترى بقيَّة الموادّ تنقص قيمتها او يتهاود سعرها تجد الخشب بخلاف ذلك يرقى في سلَّم الصناعات لا يُستغنى عنهُ بحيث يمكن القول انَّ حرفة الحطَّاب كحرفة الفلَّاح اقدم ما عُني بهِ المرء في بداية كونه وستبقى الى آخر الكون. فترى من ثمَّ جهل الذين عبثوا بهذه الثروة فضيَّعوها مع انَّ قسمًا من لبنان لا يصلح في الغالب لما سوى ذلك. وقد جرَّ خراب هذه الغابات آفات اخرى نشأت عن قطعها. فمن ذلك فُقد قسم كبير من التربة الزراعيَّة التي تجرفها كل عام امطار الشتاء. ومنها نضوب عيون معينة انقطعت مياهها او قلَّت. وكذلك تلفت الحواجز التي كانت كسدود في وجوه الانهار عند طغيانها واستنقعت المياه في البطائح فانبعثت منها الجراثيم الوبئة وذلك بدلًا من الروائح العطرة التي تفوح من اشجار الارز والصنوبر والشربين.

فانَّ الخالق كان اقام لبنان ليجعلهُ كبيمارستان للمرضى وكمستشفى يعالج بهِ اهل العاهات لسقامهم ويجدّدوا فيهِ كما في جبال سويسرة صحّتهم بعد ان انهكتها الاتعاب او تثاقلت عليها اعباء القيظ فينشوا قواهم بصفاء جوّه وطيب هوائهِ وشذا عطوره وازهاره . ولا غرو انَّ الزوار كانوا تواردوا اليهِ تترى ليسرّحوا انظارهم في مشاهده الفتّانة وآثاره الفريدة المجتلة بمناظر الطبيعة كما انَّ المرضى منهم كانوا يستطيعون ان يتعالجوا بالمعالجات الطبيعيَّة التي اختبر نفعها اطبّاء زماننا كالعلاج بالهواء والاستحمام بالماء والنور والتطبُّب باللبن والعنب وترويض الجسم بالرياضات المقوّية . ففي لبنان صلاحيَّة لكل هذه الاسباب الصحيَّة التي لا ينالها الاوربيُّون في جبال سويسرة مع كثرة ضبابها وكدورة سمائها الَّا بان يتعرَّضوا لامراض شتى كوجع المفاصل والصداع . وكان امكن اهل لبنان مع هذه الخيرات العميمة ان يوسّعوا مصادر ارتزاقهم ببناء الفنادق للغرباء وانشاء الشركات لنقل المسافرين وغير ذلك مما يجلب لسويسرة ارباحاً فاحشة . وقد فُقدت هذه العوائد كلُّهـا وخسر لبنان كل هذه المكاسب مذ جرَّد الاهلون قممهُ عن غاباتهِ بل قل عن موارد سعادتهم

*

اعلم ان تجارة الخشب قد صارت اليوم في ايدي اهل اوربَّة فيكسبون منها مبالغ طائلة . مع انَّ تربة تلك البلاد لا تصلح كتربة لبنان لنموّ الشجر وذلك انَّ شجرة من الصنوبر مثلاً لا تبلغ في بلاد اسوج ونروج عشرين متراً طولاً في دائرة متر ونصف الَّا بعد ١٥٠ الى ٢٠٠ سنة اما في جنوبي فرنسة فانَّ نموّ هذه الاشجار اسرع من ذلك باربعة اضعاف ولا نشك انها في لبنان تنمو بزمن اقل من ذلك بستَّة اضعاف لحسن موقع هذا الجبل واعتدال هوائهِ . فترى من ثمَّ انَّ اللبنانيين لو ارادوا لامكنهم ان يزاحموا اهل شمالي اوربَّة في هذه التجارة الرابحة بدلاً من ان يدفعوا لهم مالهم لجلب اخشابهم

وهذا وانَّ تغافل السكان والحمد لله لم يفنِ تماماً هذه الغابات فانَّ في لبنان حتى الان امكنةً تظلّلها الاحراج وتشهد على غناها القديم . وقد تكلَّمنا في خلال بحثنا عن ارز لبنان في المراكز الثلثة التي تزهو فيها غابات هذا الشجر الثمين واستلفتنا انظار اللبنانيين الى ما يتهدَّد غابة الباروك من عوامل الفساد

اما بقيَّة الاشجار غير الارز فان طلبنا لهـا غابات كبيرة ليس غياضاً صغيرة لا تكاد

نجد منها الّا في بعض الامكنة السحيقة كجبل اكروم شمالي شرقي لبنان وهذا الجبل من ملحقات جبل عكار تراه موازيًا لبحيرة حمص وهو قليل السكان وفيه غابة واسعة من السنديان الباسق الافنان . بيد ان اهل تلك الانحاء يتطلعون منها الفحم فلا تلبث بعد مدّة ان تتلف كما تلفت اخواتها في لبنان . ويا ليت هؤلاء الحطّابين يكتفون بقطعها فيبقى امل لان تعود فتنمو بعد سنين الّا انهم تخنيفًا للعمل يلقون النار في اصول اكبر اشجارها فتجف مانيّتها وتتلف دون ان يرجى لها اخضرار فيضحي مثل هؤلاء كمثل المرأة التي لم تقنع ببيضة من ذهب كانت تبيضها لها كل يوم دجاجتها فلمّا طمعت بما هو اوفر فقدت رزقها . وكان قدماء اللبنانيين اوفر عقلًا كما ترى في الصورة التي ابتناها آنفًا (ص ١١٠) فانهم كانوا ينتفعون بخشب غاباتهم دون ان يستأصلوا شأفتها

وكذلك مقاطعة الهرمل فانها كثيرة الاحراج ينمو فيها خصوصًا ناعم الشجر وذلك على مساحة نحو ٢٥٠٠٠ هكتار . ومع كثرة النبات ترى ايضًا امكنة عديدة خالية منهُ : واشجار معاملة الهرمل دون جبل اكروم في بسوقها وحسنها وهذا مما يبخس شيئًا من قدرها . والفحّامون يعيشون ايضًا في هذه الاحراج كعيش رصفائهم في احراج اكروم غير انهم لا يحرقون الشجر من اصلهِ كما يفعل اولئك

وترى في مقاطعة الضنيّة وفي منعطف لبنان الشرقي بين الهرمل وعينتا بعض الغابات الحسنة واشجارها في الغالب متوسّطة الكبر ليست متواصلة . ومن اشجارها الخاصّة بها الشوحُ (abies cilicia) وهو شجر جبلي لا يُعرف في غير جبال اسكندرونة ويستحقّ ان يُغرس في نواحي لبنان لحسنه فانهُ ينمو الى علو ١٥ مترًا وينبت في مشارف الجبال بين ١٥٠٠ الى ٢٠٠٠ متر

وفي غير هذه الحالّ لا تجد الغابات الّا في بعض الاودية المعزلة او على جوانب بعض السيول ومنحدرات الغياض يمتاز بينها الصنوبر والسرو . اما غابات السنديان التي كانت ترين منعطف جبال جزّين عند تومات نيحا فانها صارت اثرًا بعد حين . وترى بدلًا منها بقعًا سوداء تشهد على مساوئ الفحّامين . ونذكر هنا بعض الغياض لا لاتساعها بل تنشيطًا لمن غرسها واستلفاتًا لنظر الاهلين منها احراج بيت مري وعين زحلتا وبكاسين وبكفيا . فياليت اللبنانيين يأتسون بهذه الامثال فيعيدوا لجبلهم زينتهُ السابقة

ومما يجدر بنا ذكره مزارع الزيتون . وهي كثيرة في بعض الجهات حتى انّ الذي

يراها يحسبها آجاماً وغابات . منها مزارع الكورة التي تمتد على طول خمس كيلومترات في عرض الف متر . واوسع منها مغارس المختارة وعمأطور الّا انّ بينهما صنوفاً اخرى كالتوت والاشجار المثمرة وقد استوقفنا ابصار قرّائنا على تلك الغياض البديعة المنظر التي تجاري في خصبها غوطة دمشق واجمل مواقع سوريّة . الّا ان السهم الافوز بين مزارع الزيتون هو للشويفات فان صحراءها تبلغ سبعة كيلومترات طولاً في عرض يختلف بين كيلومتر وثلاثة كيلومترات وهي دون اغراس المختارة طولاً لكنها مرصوصة متواصلة لا يدخل فيها صنف آخر من الاشجار . ومن نظر اليها من علُ خالها بحيرةً كبيرة من الخضرة لتلاحم اشجارها وكلها في علوّ واحد نُصب اكثرها قبل ستين سنة . وكذلك مزارع قصبة زغرتا العامرة فانها واسعة جميلة وان تكن اصغر من المغارس السابق ذكرها وتختلط بها سوى الزيتون

ويهمّ اللبنانيين ان يوسّعوا نطاق هذه المزارع لما وراءها من الارباح التي تبلغ اربعة اضعاف ربح الغلّات . لانّ معدّل ما يُستغلّ من زيتونة واحدة يساوي في السنة بين ١٥ الى ٢٠ فرنكاً ولو بيع الزيت في الخارج لاتى بمكاسب طيبة لحاجة كثير من البلاد الاجنبيّة اليه فانّ فرنسة مثلاً تحتاج الى ٢٥٠٠٠ طنّ من الزيت فضلاً عمّا تجده في مقاطعاتها . فيأتيها من مستعمراتها ٨٠٠٠ طنّ لسدّ هذا النقص فيبقى ١٧٠٠٠ طن يمكن اللبنانيين ان يزوّدوها بها . وانما ذلك على شرط واحد وهو ان يتّخذ الزارعون الطرائق المستحدثة لعصر الزيتون فانّ الزيت الطيب المستحبّ لا يُنال الّا بالادوات الخصوصيّة التي شاعت اليوم في اوربّة (١ (له بقيّة)

اشتقاق الحروف العبرانيّة

ملحوظات للمشرق

ادرجت مجلّة المشرق في عددها السابق نبذة عنوانها « الحروف العبرانيّة واشتقاقها » للمستر بروكتور . فسرّها ان تنشر مقالة لاحد علماء المستشرقين في لندن لا تكون تشارك كاتبها في قوله بل لانها تحب نشر كل رأي علميّ جديد ليكون موضوعاً للبحث

١) اطلب كتاب الفاضل وديع افندي مدور في الفلاحة السوريّة . (Syrie agricole, pp. 206,212)